صناعة القطن فى العالم (١)

أسباب كسادها ووسائل التغلب عليها

لا نحتاج إلى افتتاح هذا المقال بالجملة المأثورة التى تفتتح بها الأساطير « يحكى أنه كان مرة » . ولكن استعراض ماضى صناعة القطن فى العالم قد يبرر استعارة هذه الكلمات . لقد تعودنا في الماضى القريب أن نتكلم عن صناعة القطن الرابحة وما تدره من الثروة وقد كانت حالتها كذلك بالأمس أما اليوم فان تلك الأرباح صارت تبدو حلماً من الأحلام . ولا يستدعى الحال أن يكون الانسان متقدماً فى السن حتى يكون قد شاهد التقدم الثابت لهذه الصناعة كما شاهد تدهورها ، فكلنا نعلم أن هذا الانقلاب قد حصل ولكن لماذا وتحت أى تأثير يحصل ذلك ؟

لقد تكونت هذه الصناعة بطريقة عجيبة على النحو الذى تصوره غالباً الكتب التى ترمى إلى بث روح الطموح فى شبابنا . وقد كانت البداية فى أغلب الأحوال عبارة عن حانوت للبيع القطاعى نما وترعرع . ثم نبتت فكرة استئجار غرفة مجاورة لمنحدر ماء أو داخل طاحونة دقيق واقامة قليل من الأنوال فى تلك الغرفة لتدار بالقوة المائية . وسرعان ما تضاعف عدد الأنوال ثم أصبحت هذه الغرفة البسيطة بالتدريج مصنعاً منتظماً . ونتج عن هذا التطور ان حقد المالك على الغزال بسبب الأرباح التى يدفعها إليه وبدأ يصنع الغزل لاستهلاكه الخاص . وبذلك تزايدت هذه الصناعة وصارت إحدى الصناعات الكبيرة العديدة التى حازت اعجاباً عاماً . واحتاج الأمر فى بدايته إلى قوة ابتكار تطبيقية مقرونة بمعيشة اقتصادية ، ثم أكملت الباقى من أدوار النجاح الظروف والأحوال العالمية الملائمة .

---

(١) المسيو اوتو بانكوتيز الرئيس الادارى السابق والمدير الحالى لمعامل غزل القطن بيوزنانسكى ليمتد بلودز (بولنده) وتعريب حضرة الزميل حسين ثابت افندى الأخصائى الثانى بقسم الزراعة الفنيه والاكثار نقلا عن نشرة القطن الدولية International Cotton Bulletin بنيوادرليس بأمريكا

وقد أصبحت هذه الصناعة تشغل المناطق التى تتوافر فيها القوة المائية أو يكون فيها الفحم قريباً من سطح الأرض . أما تقدم صناعتنا فكان قرين التقدم الذى أدخل على استغلال القوة البخارية بواسطة الآلات والهندسة الايدروليكية . وكذلك ليس بعجيب أن نرى انجلترا كانت أول مرعى خصب ازدهرت فيه صناعة الأقمشة والصناعات الآلية . ثم امتدت بعد ذلك إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية . فاستقرت هذه الصناعة فى أوروبا حيث توافرت القوة المائية أى فى جنوب ألمانيا والالزاس وسويسره وشمال ايطاليا ومنطقة الالبين بالنمسا والتلال الواقعة على حدود بوهيميا وسكسونيا وغير ذلك وبعد ذلك جاء دور البلاد التى لها مركز جغرافى ملائم يسمح لها بالاقتصاد فى أجور الشحن مثل الولايات المتحدة الأمريكية و بلجيكا ووستفاليا والهند واليابان والصين

وظلت الحال على هذا المنوال حتى استقر فى الأذهان ان ازدياد الصناعة القطنية ليس له حد ، وانى أذكر أنى أبديت دهشتى فى أوائل هذا القرن لأحد كبار رجال الصناعة من جراء انشاء العدد العظيم من معامل الغزل وكان جوابه مناقضاً لرأيى تمام المناقضة إذ قال ان عدد هذه المعامل قليل جداً وان ازدياد عدد الانسان لا يمكن أن يقال معه مطلقاً ان لدينا موارد كافية لملابسه ، وأضاف إلى ذلك ان هناك مئات الملايين من البشر فى العالم قد بدأت فقط باستعمال الملابس القطنية أو انها لا تعلم شيئاً عن هذا الترف . وظهر فى العشر السنوات التالية ان صاحبى كان على حق . ومع ذلك فقد عملت زيارات لبعض البلدان بين حين وآخر تحت تأثير الخوف من شبح زيادة الانتاج وسعياً وراء الاستزادة من التصدير . وقد أتت سنوات رخاء كما أتت سنوات كساد ومع ذلك فقد أظهرت نتيجة التحليل الحسابية بوجه عام أن صناعة القطن رابحة وانها صناعة تجلب الثروة والفخار وأنها مطمح كثير من الناس .

فكيف إذن حصل هذا الانقلاب السريع ؟ يعزو كثير من الناس هذا التدهور إلى الحرب العظمى ونتائجها . ولكننا سنرى بعد ذلك أن لهذه الحرب دخلا بسيطاً ،

وان السبب الأساسى لهذا الانحطاط يرجع إلى ما قبل الحرب . قليل من الناس من نظر بعين الاعتبار إلى السنوات المتقلبة بين الربح والخسارة قبل الحرب . ثم جاءت الحرب بما يتتبعها من نقص الأنتاج حتى كان النوع البشرى يتلهف على البضائع القطنية ، وظلت بلاد أواسط اوروبا مدة خمس سنوات طويلة دون أن تصلها بالة واحدة من القطن . ولكن بمجرد أعادة فتح الحدود أصابت كل شخص حمى اشباع نهمه من البضائع القطنية مما أدى إلى زيادة الطلبات زيادة عظيمة وانتعشت من جديد صناعتنا القطنية ، ولكن هبوط عملة بعض البلدان سرعان ما أدى إلى إيقاف تلك الزيادة فى الطلبات . على ان بلاد القارة الاوربية ليس لديها من الأسباب ما يبرر تظلمها كثيراً خلال السنوات سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٨ وذلك لأن السنين العجاف قد عادلتها سنوات الرواج بوجه عام ، ومع ذلك فان شعور القلق المتزايد من جهة المستقبل بدأ فى الظهور .

لقد واجهنا منذ عام ١٩٢٨ — ١٩٢٩ أزمة طاحنة لم يكابد العالم مثلها . وقد ضحينا وضحينا كثيراً فى سبيل مقاومة المنافسة . واسترسلنا فى البيع بأسعار رخيصة ورخيصة حتى لم نجن منها ربحاً مطلقاً واغفلنا إثبات ذلك كتابة فى مبدأ الأمر ، ثم أغفلنا احتساب ربح لرأس المال الموظف ، وفى النهاية صمم زبائننا على الاستزادة من المعاملة بالدين ، ولم يسعنا نحن الغزالون إلا إجابة مطالبهم بحماقة حتى لا يستولى عليهم منافسون ، و بمرور الزمن أغفلنا احتساب أرباح على تلك الديون حتى كانت النتيجة تضخم هذه الديون . ولم يكن يعوز رجال الصناعة أى كفاءة بل قد ابتكروا طرقاً جديدة و بذلوا جهدهم فى الاقتصاد من الوظائف ، وفى وقت قصير عملوا كل شىء لتجنب الخسائر . أن هبوط سعر القطن خلال عشر سنوات من ٣٦ سنتيم إلى ستة سنتيمات كان أيضاً سبباً فى ان خسر كثير من المشتغلين بصناعة القطن كل رءوس أموالهم بسبب ارتفاع الأثمان التى دفعوها فى كميات القطن التى اضطروا إلى تخزينها . وقد لجأ بعضهم إلى المضاربات واعتبروها صخرة النجاة . ولكن اثمان البيع كانت

دائماً أقل من نفقات الانتاج . وهذه حقيقة طالما خجل الكثير منا من الاعتراف بها خصوصاً الذين اضطروا إلى استدانة الأموال. وهكذا انتهى هذا الحال بفقر جل أغنياء رجال الصناعة ففقد الكثير أرباحهم وحافظ البعض على وجوده بينما البعض الآخر سائر فى نفس طريق الخراب . نعم هذا يبرر أن لو بدأنا بالمقدمة المعروفة « يحكى انه كان مرة »

ولكن لماذا لا تنتهى هذه الحالة التى لازمتنا مدة الأربع سنوات الاخيرة وتعقبها ظروف أحسن . وقد كانت هذه هى السنة فيما مضى .

تعانى كل من أوربا وامريكا بنوع خاص من جراء البطالة ، وهذا يرجع بالتأكيد إلى زيادة استعمال الآلات وحلولها محل الأيدى العاملة . وكلما زاد عدد العاطلين كلما نقص عدد مستهلكى المصنوعات القطنية تبعاً لاضطرارهم إلى الأقتصاد من نفقات الملابس .

ولا شك ان للحرب العظمى أيضا دخلا فى هذه الأزمة بالنسبة لبلاد أواسط أوروبا بدليل الاحصائيات الخاصة بآثار التدمير التى نشأت عن أقامة الحدود الجديدة وما تبع ذلك من انتزاع كثير من منافذ المراكز الصناعية .

ولكننى تحت تأثير ابحاثى انتهيت إلى الاعتقاد بان السبب الرئيسى لمتاعبنا يجب أن ينسب إلى انتقال الصناعة من أوروبا والولايات المتحدة الامريكية إلى آسيا ، وأخشى أن تقتفى أفريقيا أثر هذه البداية فتنشىء هى الأخرى صناعة الغزل ، وانتقال المغازل إلى آسيا ينطوى على خسارة أوروبا خسارة لا تعوض ، وكلما أسرعنا فى أدراك هذه الحقيقة كلما كان خيراً لنا .

وسأورد بقدر الامكان بعض الأرقام أثناء هذه الرسالة ، وأشير على من يهمهم دراسة الاحصائيات المضنية التى جمعتها من أجل هذا المقال بالرجوع إلى الطبعة الكاملة باللغة الألمانية ، والجداول الاحصائية المشتمل عليها ذلك الكتاب ولو أنها مطبوعة باللغة الألمانية إلا أنها فى متناول فهم البلاد التى تتكلم باللغة الانجليزية واللغة الفرنسية

وقد أغفلت ذكر تلك الجداول الاحصائية من هذه الرسالة لأن معظمكم مطلع عليها . وان طبع مثل هذه الجداول كثير التكاليف ، وفضلا عن ذلك فان الاحصائيات فى مثل هـذه المناقشة عسيرة الفهم . وانى أستطيع أن أقول أن دراسة احصـائيات الاستهلاك والمغـازل وساعات العمل والصادرات والواردات وخلافه قد انتهت بى إلى نتيجة منطقية وصل اليها غيرى بطريقة يحتمل أن تكون . وذلك عن طريق زياراتهم الشخصية لآسيا أو اطلاعهم على التقارير الخاصة بالصناعة فيها .

لماذا نقص مقدار استهلاك العالم من القطن ؟

بلغت مقادير استهلاك العالم من كافة أنواع القطن فى السنوات الآتية كما يلى : —

سـنة ١٩١٢	٠٠٠ر٨١٨ر٢٢ بالة
سـنة ١٩١٣	٠٠٠ر٠٩٦ر٢٣ بالة
سنة ١٩٢٠	٠٠٠ر٨٣٠ر٢٠ بالة
« ١٩٢١	٠٠٠ر٥٦٥ر١٧ «
« ١٩٢٢	٠٠٠ر١٦٥ر٢١ «
« ١٩٢٣	٠٠٠ر٠٧٦ر٢٢ «
« ١٩٢٤	٠٠٠ر٤٣٠ر٢٠ «
« ١٩٢٥	٠٠٠ر٢٩٤ر٢٣ «
« ١٩٢٦	٠٠٠ر٦٨١ر٢٤ «
« ١٩٢٧	٠٠٠ر١٤١ر٢٦ «
« ١٩٢٨	٠٠٠ر٥٤٠ر٢٥ «
« ١٩٢٩	٠٠٠ر٧٨٦ر٢٥ «
« ١٩٣٠	٠٠٠ر٢٠٩ر٢٥ «
« ١٩٣١	٠٠٠ر٤٨٨ر٢٢ «
« ١٩٣٢	٠٠٠ر٣٢٧ر٢٢ «
المتوسط من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣٢	٠٠٠ر٨٩٥ر٢٢ بالة

لقد زاد عدد سكان العالم خلال هـذه المدة ١ر٧ إلى ٢ مليار . ومعنى هذا أن استهلاك العالم من القطن على هذه النسبة يجب أن يكون فى سنة ١٩٣٢ — ٢٧ مليون بالة بدلا من ٢٢ر٤ مليون بالة ، مع ملاحظة أن متوسط الاستهلاك فى المدة بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٢ لم تزد عن ٢٢ر٩ مليون بالة ، وان الزيادة المؤقتة فى المقدار المستهلك فى السنوات ١٩٢٥ إلى ١٩٣٠ كانت فى الغالب نتيجة رد فعل النقص فى السنوات السابقة .

نعلم جميعا ان الحرير الصناعى أضحى منافسا عظيما للقطن ، وأن أزياء السنوات القليلة أخيراً أنقصت المقدار المستهلك ، وقامت الأزمة خلال الثلاث سنوات الأخيرة بنصيبها ، ويحدث كل هذا النقص فى الاستهلاك فى الوقت الذى يوجد فيه ملايين من الناس لا يكادون يعلمون شيئا عن معنى استعمال الملابس القطن بل وفى الوقت الذى انحطت فيه أسعار البضائع القطنية إلى مستو لم يعهد من قبل . على أنه يجب أن نقنع بمقدار الاستهلاك بحالته الحاضرة لأنه على كل حال فى مستوى يتفق ومستوى سنوات ما قبل الحرب . وهنا يجب أن نتساءل لماذا زاد العالم عدد المغازل من ١٤٣ر٤٤٩ر٠٠٠ مغزل إلى ١٦١ر٠١٦ر٠٠٠ مغزل ؟

بلغت زيادة عدد المغازل فى أوروبا	١ر٩٣٧ر٠٠٠	مغزل فقط
و بلغت « « « « آسيا	١٢ر٣١١ر٠٠٠	«
« « « « « أمريكا الجنوبية	٢ر٢٠٣ر٠٠٠	«
« « « « « البلاد الأخرى	١ر١١٦ر٠٠٠	«

يتضح من هـذا أن العالم (خارج أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية) يكافح ليصبح مستقلا عن مراكز الصناعات القطنية القـديمة . والمقارنة الآتية عن مقدار الاستهلاك أوضح فى الدلالة وهى أنه فى سنة ١٩١٣ استهلكت أوروبا ٩٩ر٥٠٥ر٠٠٠ مغزل ١٢ر٠٨٢ر٠٠٠ بالة من القطن

وآسيا بـ ٩٠٨٤٠٠٠ مغزل أستهلكت ٤٠٦٥٠٠٠ بالة

والولايات المتحدة الامريكية بـ ٣٤٢٦٠٠٠٠ بالة استهلكت ٦٥٦٥٠٠٠ بالة

بينما فى سنة ١٩٣٢ كانت الأرقام كما يأتى : —

البلاد	عدد المغازل	عدد البالات المستهلكة
أوروبا	١٠١ر٤٤٢ر٠٠٠	٨ر٦٧٢ر٠٠٠
آسيا	٢١ر٣٩٥ر٠٠٠	٧ر٧٢٣ر٠٠٠
الولايات المتحدة الامريكية	٣٦ر٤٠٣ر٠٠٠	٥ر٦٦٧ر٠٠٠

فارتفاع رقم الأستهلاك فى آسيا (بمقدار + ٣ر٦٥٨ر٠٠٠ بالة) يعادله نقص الاستهلاك فى اوروبا (بنحو — ٣ر٥١٠ر٠٠٠ بالة) أى بنسبة واحدة تقريباً

والصناعة فى آسيا آخذة سنوياً فى الازدياد بمتوسط ٢٥٠ر٠٠٠ إلى ٣٠٠ر٠٠٠ بالة

وفى خلال وقت ليس ببعيد لا يعدو سنتين أو ثلاثاً على أكبر تقدير يكون استهلاك القطن فى آسيا مساوياً لما تستهلكه أوروبا

ومن ذا الذى كان يدور بخلده فى عام ١٩٢١ حينما كانت الولايات المتحدة الامريكية تستهلك بنحو ٣٩ر٩٥٩ر٠٠٠ مغزل ٥ر٥٦٤ بالة بينما آسيا بنحو ١٢ر٦٩٩ر٠٠٠ مغزل كانت تستهلك ٥ر٤٤٧ر٠٠٠ بالة . ان الأخيرة فى غضون احد عشرة عاماً تتفوق عن الأولى فى مقدار الاستهلاك بنحو ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ بالة ؟

وما الذى سيحدث لو أن آسيا استمرت على هذا المنوال و بنفس السرعة التى سارت بها فى هذه السنين ؟ هل ننتظر فى هذه الحالة أن هذه الأرقام تنقلب فتصبح واذا بآسيا تمون أوروبا بالبضائع القطنية ؟

قبل اختراع آلات النسيج كانت أوروبا تشترى ما يلزم لها من البضائع القطنية من آسيا حيث كانت زراعة القطن وغزله ونسيجه باليد صناعة عظيمة . ولكن بعد اختراع آلات النسيج كانت أوروبا وعلى الأخص انجلترا ترسل بضائعها من المنسوجات

القطنية إلى آسيا ، وتبين الأحصائيات فى الوقت الحاضر أمكان رجوع الحالة إلى ما كانت عليه من قبل ، ومن جهة أسواق الشرق الأدنى فلليابان فيها نصيب الأسد. ومفهوم بالطبيعة أن آسيا فى سبيل حصولها على استقلالها قد زادت فى عدد المغازل والمناسج ، وستستمر على هذه الطريقة طالما وجدت أن فى الأمكان تصريف منتجاتها فى آسيا وأفريقيا واستراليا ، ويجب أن ندخل هذه الحقيقة فى حسابنا .

أما السبب فى أن أوروبا قد أنشأت مغازل جديدة مع أنها تواجه كساداً فى التجارة فغير مفهوم .

ففرنسا أضافت إلى مغازلها	٢ر٧٧٤ر٠٠٠	مغزل	بواسطة معاهدة السلام
وبلجيكا « «	٦٦٤ر٠٠٠	مغزل	
وايطاليا « «	٧٩٢ر٠٠٠	«	
وهولندا « «	٧٣٤ر٠٠٠	«	
وكندا « «	٣٧٩ر٠٠٠	«	
والمكسيك « «	١٣٠ر٠٠٠	«	
والبرازيل « «	١ر٤٩٠ر٠٠٠	«	

وبناء على ذلك يمكننا أن نجيب على سؤالنا مع الايجاز بأن السبب فى إنشاء مغازل جديدة يمكن توضيحه بأنه راجع إلى الأغراض التى يسعى إليها كثير من الأمم وتنطوى على الاستقلال عن المراكز القديمة التى كانت تمون العالم بالمنسوجات القطنية وليست مبنية على طلبات حاضرة أو مستقبله . والنتيجة التى لا مفر منها هى خسارة البلاد الصناعية القديمة خسارة عظيمة

ما هى البواعث على زيادة الانتاج ؟

كان انشاء معامل الغزل فيما مضى يتوقف على مورد القوة ، ولكن مورد العمال الماهرين كان أيضاً من الأمور الهامة .

ولما كان الجزء الأكبر من الغزل الناتج يغزل على . . . . . ففد كان من الضرورى ان يعهد بمراقبة هـذه الآلات المتعددة إلى عمال متمرنين وهكذا اصبحت فى مبدأ الأمر انجلترا والمانيا وفرنسا والنمسا والروسيا مراكز لمعامل الغزل ، ثم نمت هذه المراكز وأزدهرت فيها تلك الصناعة ، ولم تكن تجـد تلك المغازل الأولى صعوبة فى أيجاد سوق لغزلها وما لم تجد له سوقاً فى بلادها كانت تجـد له أسواقاً رائجة فى البلاد التى تعتمد على الزراعة و بذلك أزداد هـذا التبادل التجارى الطبيعى بين البلاد الصناعية والبلاد الزراعية .

وحتى فى سنة ١٩١٣ كان عدد مغازل الـ (Mule) ٥٢ ٪ من عدد المغازل فى العالم . وقد هبطت هذه النسبة فى الوقت الحاضر إلى ٣٤ ٪ ولـكن إذا لاحظنا أن مغازل الـ (Mule) تشتغل جزءاً كبيراً لمدة قصـيرة بينما المغازل الحلقية تشتغل بمعدل مزدوج فلا نكون بعيدين عن الحقيقة إذا اعتبرنا أن أنتاج مغازل الـ (Mule) العاملة فى العالم فى الوقت الحاضر يعادل ١٥ ٪ .

و بمجرد ما بدأت مغازل الـ (Mule) تختفى من الوجود لحلول المغازل الحلقية الأسهل استعمالا محلها فأن حق الحياة للصناعة فى البلاد القـديمة بدأ هو الآخر فى الزوال . وهكذا انتشرت صناعة الغزل بفضل سهولة العمل بالمغازل الحلقية فى البلاد التى كانت تعوزها دقة الأيدى العاملة بدرجة لا تجرأ معها على تشغيل مغازل الـ (Mule)

وتؤيد احصائيات اتحاد القطن الدولى أن البلاد التى بدأت حديثاً فى صناعة الغزل لاتملك غير المغازل الحلقية بينما البلاد القديمة العهد بالغزل هى لسوء الحظ المالكة لمغازل الـ (Mules) التى تنتج نوعاً من الغزل يطلب لأنواع خاصة من المنسوجات فقط .

خطت فى خلال عشرات السنين الأخيرة القوة المتولدة من البخار خطوات واسعة وصلت لحد كبير محل القوة المتولدة من المـاء التى كانت فى أحسن الحالات لا يمكن الاعتماد عليها دائماً وتكلف المحافظة عليها كثيراً ، وهذا معناه أن أصبح انتخاب موقع

المغزل غير متوقف على المورد المائى بل على مورد الفحم . وفى الوقت الحاضر فان توليد القوة من البخار بمساعدة محطة كهربائية أو باتصالها بالمحطة الكهربائية المركزية يعتبر نسبياً عملا قليل التكاليف وسهل التطبيق . بينما فيما مضى كان المشتغلون بهذه الصناعة يلجأون إلى مناطق غير ملائمة مثل أواسط أوروبا فقط لأن بتلك المناطق كانت تتوافر موارد مائية مناسبة ولو أنها فيما عدا ذلك تعتبر من الناحية الجغرافية غير مرغوب فيها بالنسبة لحركة توزيع ونقل المواد الخام . على أن الاهتمام الأكبر يوجه الآن إلى الموقع الجغرافى المناسب أى إلى سهولة وصول المواد الخام وتوزيع البضائع والمنسوجات .

وللميزان التجارى أيضاً أهميته من حيث دراسة الصادرات والواردات كما سيظهر فيما بعد فاذا نظرنا إلى البلاد التى تعتبر مستهلكة فقط أو على الأقل قليلة الأنتاج من ناحية المنسوجات فاننا نجد أن الواردات من المنسوجات (بما فى ذلك المنسوجات الصوفية) تمثل بوجه التقريب النسب الآتية : —

السويد	١٨ — ٢٠ ٪	من مجموع الواردات (بعد الحرب)			
الدانمارك	١٦ ٪	»	»	»	»
النرويج	١٥ ٪	»	»	»	»
بلغاريا	٣٣ — ٤٠ ٪	»	»	»	»
تشكوسلافيا	٣٠ ٪	»	»	»	»
المكسيك	١٢ ٪	»	»	»	»
الارجنتين	٢٢ ٪	»	»	»	»
استراليا	٢٥ — ٢٦ ٪	»	»	»	»
الجزائر	١٦ ٪	»	»	»	»
مراكش	١٢ — ٢٠ ٪	»	»	»	»
تونس	١٨ — ٢٠ ٪	»	»	»	»
جنوب افريقيا	٢٥ — ٢٧ ٪	»	»	»	»
مصر	٢٦ — ٢٩ ٪	»	»	»	»

وكانت واردات البضائع القطنية وحدها كما يأتى : —

رومانيا	٢٦ ٪	من مجموع الواردات
كندا	١٧ ٪	» » »
تركيا	٢٤ — ٣٠ ٪	» » »
جزائر الهند الشرقية	٢١ — ٢٥ ٪	» » »
فارس	١٤ — ٢٢ ٪	» » »

وعلى ذلك فان المنسوجات عامل عظيم الأهمية قد يزيد الرقم المدين فى ميزانية أى أمة من الأمم . وقد كان هذا فيما مضى حال كثير من الأمم التى أصبحت الآن وقد تبدل حالها من هذه الناحية مثل الهند واليابان والصين والبرازيل وغير ذلك عدد قليل من جمهوريات أمريكا الجنوبية ممن استقلوا عن منسوجات أوروبا شيئاً فشيئا . ونظرة واحدة إلى الجدول الذى يبين ما يخص كل ألف نفس من المغازل فى كل مملكة نظير هذا التغيير المشار إليه . فقد كان فى انجلترا سنة ١٩١٣—١٢٤٢ مغزل لكل ١٠٠٠ نفس فأصبحت الآن ١١٤٠ فقط بينما فى أوروبا اجمالا يلاحظ أن الرقم لم يتغير أى ٢١٨ مغزل لكل ألف نفس على أن هذا الرقم بالنسبة لآسيا قد صعد من ١٢ إلى ٢٢ .

وقد سارت بعض البلاد فى طريق تشجيع انشاء معامل غزل القطن إلى تقديم مرغبات خاصة كالاعانات المالية ومنح أراض بدون إيجار والاعفاء من الضرائب لعدة سنوات وغير ذلك

وأهم المرغبات لانشاء معامل أهلية لغزل القطن هو فرض رسوم جمركية عالية بدرجة تحمى المنتجات الأهلية . ومن سوء الحظ أن مضار هذه السياسة قلما تدرك على حقيقتها . فهذه البلاد الزراعية كانت تبادل منتجاتها بكافة أنواع البضائع المصنوعة وكان هذا التبادل هو الأساس القائمة عليه التجارة . واليوم نرى الناس قد أخذتهم

الدهشة للنقص الذى نزل بمقدار مبيعاتهم وفى نفس الوقت لا يقدرون ان هذا النقص ناشىء من المجهودات التى بذلوها فى سبيل الصناعة . ونحن نشاهد أمثلة على ذلك واضحة بيننا فى أوروبا حيث البلاد الزراعية كالمجر وتشكوسلافيا و بلغاريا ورومانيا قد أصبحت صناعية شيئاً فشيئا ، ويجب الا ندهش إذا رأينا البلاد الزراعية الآن قد أصبحت هى الأخرى زراعية بالتدريج فى المستقبل القريب . ان معامل غزل القطن المزودة بالآلات الحديثة من أسهل المعامل تشغيلا ، وبما أن كل إنسان يستعمل القطن فان معامل غزل القطن هى الخطوة الأولى فى سبيل نشر الصناعة . ويشتاق الفلاح للذهاب إلى معمل غزل القطن أو يساق للاشتغال به فى هذه البلاد الزراعية التى تسير وراء تعميم الصناعة ، ولكن من الجهة الأخرى نلاحظ أن عمال معامل الغزل فى المراكز الصناعية القديمة يساقون فى الوقت الحاضر إلى الحقول .

وطالما ان المنافسة الشديدة تضطر المنتج إلى بيع منتجات من المنسوجات بثمن يقل عن تكاليف الانتاج فان أسواق الاستهلاك هى الرابحة لأنها تغمر من جميع أجزاء العالم ببضائع قطنية تبلغ أثمانها غاية الرخص، بل أن أثمانها دون تكاليف انتاجها بكثير حتى فى حالة صناعتها فى نفس البلاد التى تباع فيها بتلك الأثمان ، ولكن نهاية هذه الحالة لا بد آتية ، فلا بد من نضوب أكبر أحتياطى بسبب هذه الحالة ويصبح أغنى رجال الصناعة فقراء إذا استمر على بيع بضائعه بأسعار دون تكاليف الأنتاج . على أنه اذا تمكنت مراكزنا الصناعية القديمة من الحصول ولو على ربح طفيف فان تلك الأسواق المستهلكة تبدأ فى صناعة الغزل والنسيج مستظلة بحماية الرسوم الجمركية العالية .

وهل يعتقد أى واحد أن أوروبا فى يوم من الأيام يمكنها أن تلعب فى ميدان التصدير نفس الدور الذى قامت به منذ عشرين أو أربعين عاماً ؟ أن الأطلاع على احصائيات القطن كفيل باعطاء أجابة سلبية على هذا السؤال إذ أن أوروبا مستمرة على تسليم تجارة الصادرات شيئا فشيئا إلى عملائها فى الخارج ، وان هذه التجارة لا يمكن أن تعود اليها وحتى الولايات المتحدة الامريكية (التى لها من الأسباب ما يبرر

احتساب زيادة استهلاكها داخل حدودها) لا بد أن تجاهد من أجل حياتها . وقد مونت كل من اوروبا والولايات المتحدة بمنتجاتها الصناعية البلاد المتأخرة فى الصناعة خلال الخمسين سنة الماضية ، وفوق ذلك فقد قامتا بتعليم تلك البلاد كيفية انتاج البضائع وباعتا اليها لتمكنها من انتاج نفس البضائع التى كانت تصدرها اليهم . وليس في إمكاننا أن نغير هذا المركز الآن ، بل يجب أن نقنع بالبقية الباقية . على أنه يلزمنا الاحتراس حتى لا تغزى تجارتنا من نواح أخرى جديدة . وستحذو البلاد التى ليس لديها إلى الآن معامل لغزل القطن حذو الهند واليابان والصين والمسألة لا تحتاج إلى أكثر من الوقت .

(لها بقية)